القيامة العامة، أم قيامة المسيح؟

ملاحظات عقائدية

على عظة الأنبا شنودة الثالث في عيد القيامة ٢٠٠٩

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٠٩

www.coptology.org

بدأ الأنبا شنودة عظته في ليلة عيد القيامة بالحديث عن "القيامة العامة".

والحديث عن القيامة العامة هو حديثٌ غير مسيحي؛ لأن عبارة "القيامة العامة" عبارة غير مسيحية وغير أرثوذكسية قطعاً، وإنما هي إحدى مكونات العقيدة الإسلامية كما وردت في القرآن والسنة.

أمَّا المسيحية، فلا تعرف ما يسمى بالقيامة العامة؛ لأننا نقوم من الأموات بسبب قيامة الرب يسوع، ولأن الرب قام، فنحن أيضاً سنقوم بقوة قيامته "لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ" (في ٣: ١٠)، وبالتالي لا يوجد في المسيحية تعليم اسمه "القيامة العامة"، بل التعليم المسيحي هو ما ورد في قانون الإيمان: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

لا ينبغي لنا إن نظن أن قيامتنا، إنما تتم بقوة إلهية تعمل في الكون – كما هو شائع عند غير المسيحيين؛ لأن قيامتنا نحن لها مصدر واحد، هو أن المسيح يسوع ربنا أقام الإنسانية كلها فيه، وأنه سوف يُحضر هذه الإنسانية في اليوم الأخير على النحو الذي وصفه الرسول بولس بأننا سوف نقوم؛ لأن المسيحَ قد "أَقَامَنَا مَعَهُ" (أف ٢: ٦)، وأقامنا فيه، بل و"رد آدم وبنيه إلى الفردوس"، وهو وحده الذي أبطل عز الموت؛ لأنه "بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية".

ولأن الإسلام لا يعرف شيئاً عن وراثة الموت، ولا يعرف أن الموت دخل إلى البشرية بسبب آدم، فهو بالتالي لا يعرف تلك العلاقة الكيانية بين الخلق والسقوط والخلاص؛ لذا فهو بعيد عن "التدبير" الذي تُعَد فيه قيامة الرب يسوع أحد عناصره الرئيسية، لذا فالتعليم بالقيامة العامة يُعَد أمراً متفقاً مع التعليم الإسلامي.

أمَّا التعليم الرسولي الواضح، فهو ما أعلنه الوحي المقدس هكذا: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ

النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.... لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رو ٥: ١٢ – ١٩).

هذا التعليم الرسولي يقوم على أساس واحد:

"**لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ**".

(١ كور ١٥: ٢٢).

وعندما يأتي الرسول بولس على ذكر قيامة الأموات، فهو لا يتحدث عن قيامة عامة، وإنما يجيء حديثه بمناسبة الرد على الذين ينكرون القيامة، وهو إنكارٌ كان قد شاع في أوساط فلاسفة اليونان؛ لذا علينا أن ننتبه إلى رد الرسول على هؤلاء:

"وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ؟".

واضحٌ هنا أن الرسول يربط بين الكرازة بقيامة المسيح، وقيامة الأموات، فالرد لا يشير إلى تعليمٍ عن قيامة عامة لكل البشر، بل يؤكد قيامةً مصدرها قيامةُ المسيح نفسه، ولذلك:

–"فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ!. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضاً إِيمَانُكُمْ.

–"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ.

– "إِذاً الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضاً هَلَكُوا!.

– "وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. (أي الثمرة الأولى).

وختام هذا الرد:

–"فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ".

(١ كور ١٥: ١٢ – ٢١).

وعلى ذلك تكون المحصلة هي:

- إنكار السقوط يعني إنكار وراثة الموت في آدم.
- إنكار الفداء يعني إنكار قيامة الإنسانية في المسيح.

وهكذا يمكننا أن نؤكد أنه لا يوجد لدينا تعليم عن قيامة عامة، وإنما القيامة سببها ومصدرها المسيح.

القيامة في اليوم الأخير

عندما قالت مرثا أخت لعازر للرب يسوع إن لعازر سوف يقوم في اليوم الأخير، جاء جواب الرب يسوع مصحِّحاً ما ذكرته مرثا، إذ قال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا ١١: ٢٥). يمكننا هنا أن نستنتج أن بعض اليهود كان لديهم فكرة عن قيامة الأجساد؛ لأن الصدوقيين كانوا ينكرون القيامة.

وقد ساهمت نبوة حزقيال (إصحاح ٣٧) عن الوادي المملوء عظاماً (٣٧: ٣) وقول السيد الرب "هاأنذا أفتح قبوركم وأحضركم من قبوركم يا شعبي" (٣٧: ١٢)، في أن يسود الرجاء في القيامة أوساط أتقياء اليهود. وظل رجاء القيامة حياً حسب نبوة دانيال النبي "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي (دانيال ١٢: ٢). ولذلك، وبسبب هذا الرجاء، أُضيفت إلى صلوات يوم السبت البركة الثامنة عشر: "أنت يا رب قادر على كل شيء وإلى الأبد قدرتك؛ لأنك أنت الذي تعطي الحياة للموتى".

ولكن الرب يسوع كشف عن حقيقة هذا الأمر بعبارة واحدة: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ". وعندما أجابت مرثا رداً على سؤال الرب: هل تؤمنين بهذا؟ "قَالَتْ

لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ» (يو ١١: ٢٦ – ٢٧)؛ لأن القيامة هي أحد أعمال "المسيا" (المسيح).

وقد أكد الرب يسوع أنه هو القيامة قبل ذلك في عيد الفصح (يو ص ٦) وأعلن أن هذه القيامة هي عمله الشخصي "هَذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.... أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو ٦: ٣٩ – ٤٠).

ويجب أن نفهم كلمات الرب هذه من خلال التعليم الرسولي نفسه كما شرحه القديس أثناسيوس:

"إذ قد مات مخلِّص الجميع عنَّا، فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (ذات) الموت الذي كان سابقاً حسب وعيد الناموس، لأن هذا الحكم قد أُبطل، وبما **أن الفساد قد بَطُلَ وأُبيد بنعمة القيامة**، فإننا من ذلك الوقت، وبحسب طبيعة أجسادنا المائتة ننحل في الوقت الذي حدده الله لكل واحد، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل" (تجسد الكلمة ٢١: ١).

وفي عبارة لا تقبل التأويل يقول المعلم العظيم أثناسيوس: "إن الموت قد أُبيد بنعمة قيامة المخلص ... أين غلبتك يا هاوية (تجسد الكلمة ٢١: ٢).

فلم يكن موت الرب يسوع موتاً شخصياً له هو؛ "لأن المخلص لم يأتِ لكي يتمم موته هو، بل **موت البشر** ... قَبِلَ في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (تجسد الكلمة ٢٢: ٣).

ثم يستدرك المعلم العظيم ليقول: "كان الرب مهتماً بصفة خاصة بقيامة الجسد التي كان مزمعاً أن يتممها، إذ أنها (القيامة) دليل أمام الجميع على انتصاره على الموت، ولكي يؤكد للكل أنه أزال الفساد، وأنه منح أجسادهم عدم الفساد ... كضمان

وبرهان على القيامة المعدَّة للجميع، فقد حفظ جسده بغير فساد" (تجسد الكلمة ٢٢: ٤).

لكل ما تقدم، نحن نرفض كل تعليم عن القيامة العامة؛ لأنه يعد بمثابة إسدال ستارة معتمة على قيامة الرب التي أعادت الحياة الأبدية، وحياة عدم الفساد حسب وعد الرب نفسه. وهو ما تطلبه الكنيسة في أوشية الراقدين "أقم أجسادهم في اليوم الذي رسمته كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة". كما تعبر التقوى الأرثوذكسية الحقيقية عن قوة قيامة الرب في عبارة تملأ كل كتب الصلوات الأرثوذكسية "أبطل عز الموت"، وهي عبارة ترادف عبارة أخرى "نزل إلى الجحيم وأبطل عز الموت ... بذوقه الموت عن خلاص الأحياء، وأعطى النياح للذين ماتوا، ونحن الجلوس في الظلمة زماناً أنعم علينا بنور قيامته ..".

وهنا ننبه وبشدة إلى أن إهمال قيامة الرب يسوع لصالح موضوع القيامة العامة يعزى إلى غياب الحديث عن نزول المسيح إلى الجحيم وسبيه الجحيم سبياً، من التعليم القبطي المعاصر، ذلك أن نزول الرب إلى الجحيم وإنارته ببرق لاهوته، وإطلاق أسراه يقوم في الأساس على غلبة الرب للموت على الصليب، وإعلان هذه الغلبة بالقيامة من بين الأموات.

إن التعليم يجب أن يكون له غاية محددة، وإلاَّ أصبح لغواً من اللغو، ويمكننا أن نبرهن على ذلك من خلال المقارنة بين التعليم بالقيامة العامة، وقيامة الرب إذا انتبهنا إلى أن الحديث عن قيامة الرب يضعنا في مواجهة الحقائق الآتية:

١– تحول الجسد إلى عدم فساد بسبب قيامة الرب والمخلص.

٢– هبة الحياة الأبدية في ملكوت السموات.

٣– إبادة الموت.

وتضع أنشودة القيامة هذا كله في عبارات مختصرة عذبة:

"المسيح قام من بين الأموات
بالموت داس الموت
والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية".

والعبارة الأخيرة بلا معنى إذا كانت القيامة عامة لا تتأسس على قيامة المسيح، وهذا ما يقدمه القديس أثناسيوس إذ يقول:

"إن الرب أقام جسده في اليوم الثالث **حاملاً عدم الفساد وعدم التألم اللذين حصلا لجسده** كعلامة للظفر والانتصار على الموت" (تجسد الكلمة ٢٦: ١). فقد أباد الرب الموت في جسده بقوته الإلهية (تجسد الكلمة ٢٦: ٦).

فأين التعليم بالقيامة العامة، من التعليم بقيامة الرب؟

الشهادة بقيامة المسيح

يبدو أن الأنبا شنودة قد وجد نفسه مضطراً لهذا الكلام؛ لأنه وجد نفسه أمام حشد من المهنئين المسلمين، فقال ما قال. ولكن الرسل القديسين، إذ وُجِدُوا في موقف مماثل، كان لهم موقف مغاير.

ففي يوم الخمسين وقف بطرس مع باقي الرسل يشهدون بالقيامة، وأين؟ في أورشليم، حيث صلب الرب، وحيث دفع اليهود المال للحراس رشوةً من أجل "إعلام كاذب"، حتى يشيعوا أن تلاميذه أتوا وسرقوه ونحن نيام، وبذلك نكون أمام أول إشاعة، وأول رشوة ورد ذكرهما في العهد الجديد. ولأن المال والغباء كلاهما بلا دين، كانت حياة أيهما قصيرة جداً، وهكذا ضاعت الإشاعة، وفشلت الرشوة؛ لأن الرسل شهدوا لقيامة الرب، و لم يمنع شهادتهم أن يُجلد بطرس ويوحنا، ولا أن يموت الرسول يعقوب، ولا أن يندلع الاضطهاد ضد الكنيسة من داخل اليهودية نفسها، لا من الرومان (في تلك المرحلة بالذات).

وكان لسان حال بطرس (وبقية الرسل) عن قيامة الرب يسوع له المجد:

- "اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أع ٢: ٢٤).

- "أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ، وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ **وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذَلِكَ**" (أع ٣: ١٥).

هذه الشهادة أزعجت اليهود، فأقبل الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما فيه بقيامة يسوع من الأموات، فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد .." (أع ٤: ١ - ٣). ولكن بطرس ويوحنا لم ينصاعا لتهديد اليهود، لأن الله يجب أن يطاع أكثر من جميع الناس (أع ٥: ٢٩).

هذا كان موقف الرسل الأطهار، فماذا عن موقفنا نحن؟

هل سمع المهنئون بالعيد بشارة قيامة يسوع في الإنجيل؟

هل أدرك هؤلاء ما كان يتردد من ألحان كنسية خاصة بالمناسبة؟

أم كان علينا أن نغيِّر اسم هذا العيد حتى تصبح قيامة المسيح موضوعاً غامضاً يحل محله موضوع آخر هو القيامة العامة؟

هل يمكن أن نعتبر هذا الكلام نوع من الهروب من الشهادة؟!

قيامة الرب هي سبب قيامتنا:

لقد حاولنا – بكل ما أوتينا من جهد - أن نجد في عظات الأنبا شنودة ومقالاته - ما نُشر وما لم يُنشر - تعليماً مسيحياً أرثوذكسياً عن القيامة يؤكد ويشرح أهمية قيامة الرب كمصدر لكل ما عندنا من عقائد وطقوس وسرائر كنسية، لا سيما سر الشكر المجيد، ولكن للأسف باءت جهودنا بالفشل.

إن قيامة الرب يسوع هي سبب قيامتنا، للأسباب الآتية:

أولاً:

بسبب الخطية التصق الموت بالطبيعة الإنسانية، لا سيما الجسد، كقوة فساد تدمر الحياة الإنسانية، ولذلك لم يكن تجديد الكيان الإنساني بكلمة خالقة من الله كافياً، ليس بسبب ضعف قوة الله الخالق، وإنما لأن الإنسانية كانت في حاجة إلى جرعة حياة إلهية لا تموت، حياة خالدة. هذا هو ما أكده معلمنا الرسولي أثناسيوس بقوله:

"لهذا كان من الصواب أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد الجسدُ "بالحياة" لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقوم ثانية **ويظل غير مائت** فيما بعد. ولأنه كان قد لبس الفساد، فإنه لم يكن ممكناً أن يقوم ثانية ما لم يلبس الحياة ... لذلك لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده" (تجسد الكلمة ٤٤: ٦).

ثم يضيف القديس أثناسيوس:

"لو كان الموت قد أُبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمر من الكلمة لبقي رغم ذلك قابلاً للموت والفساد بحسب طبيعة الأجساد. ولكي لا يكون الأمر كذلك، فإن كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس جسداً لكي لا يعود الموت والفساد يرهبان الجسد؛ لأنه قد لبس الحياة كثوب، وهكذا أُبيد منه الفساد الذي كان فيه" (تجسد الكلمة ٤٤: ٨).

ثانياً:

القيامة هي ثمرة اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو الموضوع الغائب تماماً من عظات ومحاضرات الأنبا شنودة، وإذا ذُكِر فإنه يُذكَر بشكل عام ولا يشرح بكفاية تمس الحياة الكنسية.

وهذا أيضاً ما أكد عليه معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي:

* إن الكلمة نقل من لاهوته عدم الفساد إلى الناسوت (تجسد الكلمة ف ٤٤).
* كما نقل له أيضاً عدم الألم (تجسد الكلمة ٢٦: ١ – ٢).٠

لقد وهب الكلمةُ جسده، المجد الإلهي الذي كان له قبل تجسده؛ لأنه دفن وقام بأمجاد الإلوهة، وصار جسده "جسد مجده"؛ لأننا "نَنْتَظِرُ مُخَلِّصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠ — ٢١).

وهذا هو ما نصلي لأجله في صلاة القسمة: "لنضيء بشكلك المحيي". هذا المجد، كان مستتراً قبل القيامة، ولكن أُعلن جزئياً على جبل طابور عندما تجلى بمجد ونور يفوق نور الشمس (مرقس ٩: ١ – ٣)، حتى أن ذلك المجد شمل أيضاً "موسى وإيليا" (لوقا ٩: ٢٨ – ٣١). هذا المجد هو مجد الحياة السمائية التي لا تأخذ كيانها من الطعام والشراب والماء وما تقدمه الأرض، بل هو الحياة الجديدة التي تتجدد للمعرفة حسب صورة الله خالقنا (راجع كولوسي ٣: ١٠) فهو كما يقول الرسول "يَنْمُو نُمُوّاً مِنَ اللهِ" (كولوسي ٢: ١٩).

ولذلك، فإن جسد الرب عديم الفساد لا يتحول فينا – بالتناول – إلى عنصر فاسد يلتصق بالأسنان واللسان والجهاز الهضمي؛ لأنه ليس الطعام البائد، بل هو طعام الخلود للحياة الأبدية وقيامة الدهر الآتي. ولذلك قال الرب: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ" (يو ٦: ٤١). وأيضاً: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يوحنا ٦: ٥٣).

أحياناً أجد نفسي وجهاً لوجه أمام تلك الممارسات الشعبية التي يحيط بها البعض سر الإفخارستيا — مثل عدم الاستحمام – عندئذٍ أشعر كما لو أن الذين ينشرونها لا يؤمنون بالقيامة. كذلك نؤكد أن كل القصص التي تروى عن تحول الإفخارستيا إلى لحم ودم بعد استدعاء الروح القدس تعد من قبيل الإنكار الصريح

لقيامة الرب يسوع؛ لأن مَن قام من الأموات، لا يسود عليه الموت ولا يمكن أن يموت (رو ٦: ٩). بل هو مَن قد أمات الموت (تجسد الكلمة ٣٧: ١)؛ لأن جسده هو "هيكل الحياة" (تجسد الكلمة ٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٧: ٢ – ٥٤: ٣)، فهو لا يعود إلى الحياة المائتة القابلة للفساد، ولذلك نحن لا نأخذ "جزءاً" من جسد الرب ودمه، بل "جسد ودم عمانوئيل إلهنا" الذي يوزَّع دون أن ينقسم، ويؤكل دون أن يتحول إلى عنصر ترابي، بل يقدسنا ويرفعنا إلى الحياة الأبدية.

قيامة المسيح هي أساس قيامتنا:

هل بعد كل هذا يجوز لنا أن نظن أن الله سوف يقيم الأموات بقدرته كما خلق الإنسان بقدرته؟

طبعاً، الله قادر على كل شيء، ولكن لقدرة الله غاية، فهو ليس صانعاً يجدد ما فسد لكي يفسد من جديد. لقد دخل الموت "بحسد إبليس"، وفسدت الخليقة، وقيامة الخليقة من الموت بدون "تطعيم" يمنع عودتها إلى الموت مرة أخرى هو أمرٌ لا يليق بحكمة الله ولا بقدرته. نحن سنقوم؛ لأننا صرنا في المسيح، وصار لنا وجود إنساني أبدي في الثالوث نفسه من خلال الرأس يسوع المسيح ربنا.

لذلك ما أعجب أن تنحصر القيامة – كما قال الأنبا شنودة – في مجرد عودة الروح للجسد، ذلك الصديق الذي افترقت عنه، وأنه في القيامة يلتقي "الصديقان" الروح والجسد، فهذا ما لا يمكن قبوله بأية حال. ولو كان البابا شنودة قد قرأ أو درس عظات القديس مكاريوس التي تنشر منذ عهد البابا كيرلس الخامس حتى الآن، لعرف أن الجسد هو الشكل المنظور للروح، وليس "الصديق" كما ذكر، وبالتالي فليس هناك أي محل للتساؤل عن معضلة كيف تتعرف الروح على جسدها.

المعرفة الإنسانية في الدهر الآتي:

إذا كانت المقدمات خاطئة، لا يمكن للنتائج أن تكون سليمة.

وإذا كانت الخلفية التي يبني عليها الأنبا شنودة تعليمه عن القيامة، هي فكرة القيامة العامة، لذا كان طبيعياً أن يستمر في طرح مزيد من الأسئلة:

- كيف تتعرف الروح على الجسد، خصوصاً إذا كانت إذا كانت الأجساد ستقوم في حالة روحية غير مادية؟

- وكيف يتعرف الإنسان على أجداده وأجداد أجداده؟

- وكيف يتعرف الأب الذي مات على ابنه الذي أنجبته زوجته بعد وفاته؟

- وكيف يكون لقاء الأرامل بالأزواج، واليتامى بالآباء والأمهات؟ إلى آخر ما طرحه من أسئلة.

وفي الحقيقة، فإن طرح مثل تلك الأسئلة، يدعونا نحن إلى التساؤل:

هل الأنبا شنودة على علم ووعي بما ينقله إلينا طقس الكنيسة التي يتربع هو بطريركاً عليها؟

أولاً:

تؤكد صلوات الليتورجية على أن الذين رقدوا هم "في كورة الأحياء إلى الأبد في أورشليم السمائية". وهؤلاء – بلا شك – هم أعضاء جسد المسيح الواحد الذي يقدَّم له البخور في باكر وعشية مع الأعضاء الذين يحضرون الخدمة؛ لأننا نقدِّم البخور للسيد، ولوالدة الإله، وللقديس يوحنا الصابغ، ولقديسي الكنيسة، والملائكة **والشعب**؛ لأن هؤلاء جميعاً جسد واحد تحت رأس واحد هو ربنا يسوع المسيح الذي جمع السمائيين والأرضيين معاً تحت رأسه الواحد (أفسس ١: ١٠).

و"لأنه جعل الاثنين واحداً، أي السماء والأرض" – حسب تسابيح العنصرة؛ **لذلك تعرَّف بطرس الرسول على موسى وإيليا على جبل طابور**، رغم المسافة الزمنية التي تفصل بينهما وبين الرسل؛ لأن سحابة المجد الإلهي التي أظلت الحضور على جبل طابور، أي الروح القدس هو الذي يُعلن تلك العلاقة التي تربط بين أعضاء جسد المسيح. ولذلك، ولنفس السبب يقول الرسول: "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ" (١تس ٤: ١٤). فالراقدون قد رقدوا في المسيح، ولنفس السبب يقول الرب: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٤)، كما قال الرب أيضاً: "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى **حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً**" (يوحنا ١٤: ٢ – ٣).

ثانياً:

إن دلالة تحليل الخدام والمجمع لا تخفى على أحد.

فإذا كان الكل معاً في المسيح "في كورة الأحياء إلى الأبد"، وحسب قول الرب نفسه: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً"، صار من الواضح أننا نطلب "التحليل" من معلمي الكنيسة الراقدين في يسوع في تحليل الخدام؛ لأننا معاً في كنيسة واحدة رأسها المسيح وليس البابا الروماني ولا بابا الإسكندرية، فليس لأي جسد رأسين. وهذا ما تؤكده صلوات المجمع والترحيم الذي نذكر فيه كل القديسين ابتداء من والدة الإله حتى الراقدين؛ لأن الذي يجمعنا هو المسيح الواحد الذي فيه قد مسحنا بالروح القدس.

هكذا، في المسيح وبالروح القدس نعرف الذين سبقونا، مثلما عرف بطرس ويوحنا ويعقوب موسى وإيليا.

كيف ستجد الروح الجسد؟!!

هل هي معجزة أو أمر يفوق العقل البشري كما ذكر البابا شنودة؟

يمكننا أن نقرر بكل ثقة ويقين أن تراثنا القبطي الأصيل لديه الإجابة القاطعة على هذا السؤال، دون أن نكون في حاجة إلى تلك (المعجزة)؛ لأنه يحتوي على كثير من الحقائق التي طُمِسَت منذ ما يزيد عن ربع قرن.

أولاً:وحدة الكيان الإنساني في المسيح

إن وحدة الكيان الإنساني، وحدة الجسد والروح التي نلناها في أسرار انضمامنا إلى المسيح: المعمودية – الميرون – الإفخارستيا، هذه الوحدة لا يهدمها الموت؛ لأن المسيح الرب سبق أن هدم الموت "والموت الذي دخل إلى العالم **هدمته**"، فقد تحول الموت عن أن يكون فساداً، ونهايةً للحياة، إلى وسيلةٍ لزراعة بذور الحياة الجديدة (١كو ١٥: ٣٥ – ٤٤). وبعد أن أكد الرسول على زراعة الجسم الحيواني، قال "يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً" (١كو ١٥: ٤٤) وزاد الأمر تأكيداً بقوله: "صَارَ آدَمُ الإِنْسَانُ الأَوَّلُ نَفْساً حَيَّةً وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحاً مُحْيِياً" (١كو ١٥: ٤٥). فالتحول يحدث هنا، ولذلك توضع أختام القيامة الـ ٣٦ رشماً من رشومات الميرون على كل أعضاء الجسد؛ لأن النفس أو الروح ترى في هذه الرشومات استعلان جسد القيامة في مسحة الحياة الأبدية التي توضع على الجسد والنفس معاً وتؤهِّل للقيامة في المسيح، لذلك، ترى الروح جسدها في يسوع وفي ختم قيامته، وتعرف أنه سوف يصير مثل جسد يسوع، وهو ذلك الجسد الذي سبق أن أخذناه في سر الإفخارستيا "جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين".

إن غياب تلك الحقيقة يؤكد عدم إدراك أن سر معرفة الروح بالجسد هو أحد سمات الإتحاد الأقنومي؛ لأن الجسد القابل للفساد والموت، صار جسد المجد (فيلبي ٣:

٢١)، وصار بالإتحاد – في أقنوم الكلمة المتجسد – حياً ممجداً بكل أمجاد اللاهـــوت، وبالتالي تصير المعرفة الإنسانية إلى كمال، فلا تنقسم بعد القيامة ولا يصير فيها قبـــل وبعد، جهل ومعرفة، بل الكل مستعلنٌ، يقول عنه الرسول: "وَنَحْنُ جَمِيعاً نَـــاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ (المسيح) عَيْنِهَـــا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢كو ٣: ١٨).

بهذا الوجه المكشوف سوف نرى كل أسرار الحياة الجديـــدة؛ لأن الرســـول نفسه يقول: "لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ انْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كولوسي ٣: ٣ – ٤). وطبعاً من يقرأ الآية الأولى يجد أن الرسول يقول: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِـــيحِ ...". لقـــد جاءت القيامة بمعرفة جديدة لا دور للموت فيها. قبل القيامة انشطرت المحبة والحياة، فصارت الحياة الخاطئة بلا محبة. بعد القيامة في المسيح أعيدت المحبة إلى الحياة، فصارت المحبة والحياة في كيان واحد لا ينقسم وصارت المعرفة غير منقسمة.

ثانياً: شفاعة القديسين الراقدين:

هل يعرف هؤلاء الظافرون بالحياة المجيدة ما يحدث لنا؟

يقول الرسول: "نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَـــا ..." (عب ١٢: ١)، الرسول يتحدث عن سحابة شهود العهد القديم من الأنبيـــاء، ولكن هذه السحابة غير منفصلة عن سحابة الشهود في العهد الجديد، بل متحدة بها، إضافة إلى ذلك، السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لوقا ١٥: ٧)، والرب نفسه يجمع السمائيين معاً فرحاً بالخروف الضال والدرهم المفقود. وحتى إبراهيم رأي يوم الـــرب يسوع وعرفه (يوحنا ٨: ٥٦) وتهلل روحياً.

فإذا كان الأمر على هذه الحال، فكيف ومن أين يجيء الجهل بوحدة السماء والأرض، وحدة جسد المسيح الذي يملأ السماء بالقديسين، والأرض بالكنيسة التي تشق طريقها في التاريخ نحو الحياة الأبدية؟!

إن عدم الإيمان بأن الكنيسة هي جسد المسيح الحي الواحد، والذي كشف عنه الاعتراض على تعبير الأب متى المسكين "جسد المسيح الذي يملأ السماء والأرض"، يقف في خلفية عدم وضوح الرؤية فيما يخص وحدة جسد المسيح، وكيفية تعرف الروح على جسدها، وغير ذلك من تساؤلات تظهر سائلها وكأنه حديث عهد بالإيمان المسيحي، أو كأنه لا يقف خلفه تراث آباء عظام يحمل بين جنباته الإجابات عن كل تلك الأسئلة.

لذلك جاءت عظة تلك المناسبة الإلهية العظيمة، وهي قيامة الرب يسوع لا تمت بأية صلة لقيامة المسيح، بل وتؤكد على الجهل التام بحقيقة الكنيسة، وصلواتها وطقوسها، تلك الصلوات التي تطلب شفاعة بطريرك الكنيسة مع هؤلاء الذين نطلب شفاعتهم بعد تحليل الخدام وقبل قراءة البولس؛ لأننا كنيسة واحدة رأسها واحد، ولأن المعرفة بالجسد معلنة في الإتحاد الأقنومي، وهو الأقنوم الذي نأخذه في سر الشكر بالروح القدس، ولذلك يقول عنه الرسول بولس: "وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ" (رو ٨: ١١).

إن عدم الإيمان بأن الكنيسة هي جسد المسيح الحي الواحد، يؤدي في النهاية إلى:

١- إنكار اتحادنا بالرب في الإفخارستيا، بل وتناولنا جسده فقط.

٢- إنكار سكنى أقنوم الروح القدس فينا، والإدعاء بأن هذه السكنى هي مواهب الروح القدس بدون الروح القدس.

لذلك كان من الطبيعي أن نصل في النهاية إلى أن:

١- الروح لا تعرف الجسد؛ لأن الروح لم تنل معرفة الحياة الجديدة في المسيح.

٢- الروح لا تعرف الآباء والأجداد كأعضاء في جسد المسيح؛ لأن الكنيسة ليست هي جسد المسيح، بل هي جماعة المؤمنين.

الرب يسوع الذي يقيم الأموات قادر أن يقيم الكل ويثبتهم فيه.

جورج حبيب بباوي

إبريل ٢٠٠٩